Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ - بين ياوس وابن قتيبة :

ربما اتسعت الفواصل الفكرية والثقافية بين الناقدين خلال أحد عشر قرنا تقريبا، تمتد من القرن الثالث الهجرى إلى القرن الرابع عشر الهجرى، فالخط الزمني بين ابن قتيبة وياوس قد شهد تغيرات عالمية، وتطورات سريعة فى ميادين البحث العلمى ومناهج الأدب، وهى بدورها تشكل فاصلا أكبر من فاصل الزمن بين الناقدين. ولكن الفكر النقدى فى اهتمامه بنتاج الأدب قديمه وحديثه قد يتجاوز تلك الفواصل فى نقطة تلتقى عندها الرؤى، وتتواصل المفاهيم؛ ذلك أن الفكر الإنسانى على اختلاف مستوياته وتعدد بيئاته لا يمضى دائما فى خطوط أفقية متوازية، بل تتقاطع خطوطه أحيانا عند نقاط وإشارات، يلتقى عندها الماضى بالحاضر، ويتواصل فيها القديم والحديث. فأحيانا يكون الحديث امتدادا للقديم فى رصيده النقدى، وأحيانا يتقاطع معه رأسيا عند مسألة أو مسائل معينة، وعندئذ قد يشكل التقاطع ضربا من التمرد الرافض، أو نوعا من التجديد المتفاعل. وفى الأحوال كلها تكون الحداثة وثيقة الصلة بالخبرات الماضية، فلا يوجد شىء فى الفكر الإنسانى يمكن أن يأتى من فراغ، مهما زعم رواده. والمنهج الجديد - كما يقول ياوس - «لا يسقط من السماء ولكن له مكان فى التاريخ»(١).

ويكفى أن نعرف إجمالا أن نزعات التجديد أو الحداثة الغربية - فى النقد بالذات - ما زالت - رغم محاولات الانحراف عن الخط القديم - مشدودة بقوة إلى ما خلّفه الفكر اليونانى بعامة والأرسطى منه بخاصة، وأن المذاهب الحديثة إنما انطلقت من إشارات معروفة فى تاريخ النقد اليونانى، وربما استأنست فى انطلاقها بنماذج النقد العربى. وتلك مسألة لم تعد خافية، ولا يتسع لها مجال البحث.

فجل الغاية هنا أن نشير إلى أن للقديم فى ذاكرة التاريخ أصداءه وقيمته، وللحديث مهمته ووظائفه، وعند هذا المفهوم يلتقى ابن قتيبة و«ياوس»، بل يمثل قناعة مشتركة بينهما فى سلوكيات التعامل. مع النص أو دراسته. فيقول ابن قتيبة فى معرض حديثه عن المنهج المتبع فى تصنيف كتابه: « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت

(١) نظرية الاستقبال ص ٢٤.